الصراع الصفوي العثماني
واثره على البصرة

اعداد الطالب:- حقي اسماعيل مرتضى

اشراف الدكتور:- جعفر عبد الدائم المنصور

الدولة الصفوية والعثمانية

في مطلع القرن السادس عشر الميلادي تجاورت في المشرق الاسلامي ثلاث دول كبرى وهي في ايران الدولة الصفوية وفي اسيا الصغرى الدولة العثمانية وفي مصر والشام والحجاز دولة المماليك[1]

إن المعلومات التي تتناول أصل ونشأة الأسرة الصفوية التي أسست تلك الدولة غير واضحة وقليلة. وقد ادعى الصفويين ان نسبهم وشجرتهم تنحدر من الإمام الكاظم (ع) ، لكن ليس هناك معلومات حقيقية تثبت صحة هذا الادعاء بالنسب[2]. اذ اختلف الباحثون كثيرا حول أصلهم ونسبهم ، ومن الباحثين يرون انهم علويون من ابناء الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) ، حفيد النبي محمد (ص) وهناك اخرون يطعنون في صحة هذا النسب وبحثوا عما يفند ذلك ، وطرحوا مجموعة روايات تدحض هذا الرأي ، واتهموا الشاه طهماسب الاول بانتحال هذا النسب لإضفاء قداسة وشرعية ال البيت (ع) لأسرته وسلطته[3].

أما الرأي الأكثر مقبولية هو أن الصفويين من أصل تركي أو أصل إيراني محلي وهم قد اعتمدوا اللهجة الأزرية التي تعد من اللهجات التركية الشائعة في أذربيجان و يعد الشيخ صفي الدين الأردبيلي (1252- 1334م) مؤسس لهذه السلالة وبعد وفاته تولى ابنه صدر الدين مشيخة الحركة الصفوية حتى عام 1392 م. وبعد وفاته انتقلت إلى ابنه خوجة علي، وقد بدأ في عهده تحول الدولة الصفوية إلى حركة سياسية من خلال اتباع أسلوب جديد من اجل نشر دعوته بين اتباعه على أساس مذهبي جديد، واعتاد خوجة علي ان يلبس السواد ، بعد ان توفي تولى المشيخة عدد من أفراد الأسرة الصفوية الزعامة من بينهم جنيد (1447 - 1460م)، و حيدر و سلطان علي (1488 - 1494 م) ، ولم يكن للأسرة الصفوية شأن كبير الى ان استلم السلطة إسماعيل الصفوي (1501- 1524)م حيث توسعت

---

[1] نايف عيد السهيل ، (العلاقات السياسية فبين العثمانيين والصفويين منذ قيام الدولة الصفوية حتى معركة جالديران (907-920هـ/1502-1513)، مركز البحوث والدراسات التاريخية كلية الاداب – جامعة القاهرة ، 2009 ،ص11.

[2] سرمد عكيدي فتحي الدهان و ستار محمد علاوي ، الصراع العثماني الفارسي واثره على العراق دراسة تاريخية (1508– 1779) ، ص119.

[3] عبد الحميد الارقط ، اوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الاول 996-1038هـ/1588-1629م،رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية قسم العلوم الانسانية ، جامعة حماة لخضر-الوادي،2015/2014،ص 14.

الدولة الصفوية لتشمل مناطق واسعة خارج حدود بلاد الفرس خاصة الاراضي التابعة للدولة العثمانية [1]

اما العثمانيون فاصولهم ترجع الى قبيلة تركية اسمها قابي ، وخرجت تلك القبيلة من اواسط آسيا وتوجهت نحو الغرب بقيادة ارطغول، وتمكنت من نيل ثقة علاء الدين سلطان سلاجقة الروم بعد أن قدموا له المساعدة في حربه مع البيزنطيين عام 1232، فكافأهم بان أقطعهم منطقة تعود له في شمال غرب الأناضول على الحدود البيزنطية السلجوقية، إلا ان ارطغول لم يكتفي بذلك، وبدأ توسعه في املاك البيزنطيين تحت اسم السلاجقة. وعندما مات عام 1288[2]. خلف ابيه عثمان ، وتنسب اليه الدولة العثمانية الذي يعد حقا هو مؤسسها الأول، وخلال عهده تحدد الوضع العسكري والسياسي للعثمانيين، اما وضعهم الديني فكان قد تحدد قبل ذلك بفعل تأثرهم بدين الاسلام الذي كان منتشرا في البيئات التركية في وسط آسيا وغربها [3].

تطور العلاقات الصفوية العثمانية

بدأت في عهد الشاه اسماعيل الصفوي وتيرة التوتر بين الدولة العثمانية والصفوية تزداد يوما بعد يوم رغم محاولة السلطان بايزيد تخفيف الازمة بين الطرفين بارساله الرسائل الرقيقة الى اسماعيل الصفوي[4]، لكن العلاقات بين الطرفين تدهورت عندما قام الشاه اسماعيل بنشر تعاليمه بين القبائل التركمانية في الاناضول[5].

في الحقيقة نظر العثمانيين إلى المذهب الشيعي على كونه تهديد سياسي، وعارضوا الصفويين ليس فقط بسبب خطر تواجدهم، وانما كذلك لأن المذهب الشيعي كان يمثل تحديا خطرا للمذهب السني الذي يعتنقه الأتراك ، لكن السلطان بايزيد الثاني عارض القيام بهجوم موسع ضد الشاه إسماعيل الصفوي، ربما تعاطفا مع التعاليم الغامضة التي كان ينشرها المبشرين الشيعة، أو رغبته في تجنب الحرب قدر المستطاع، أو لخوفه من أن الدعوة الصفوية من الممكن أن تغري عددا كبيرا

---

[1] الدهان ،علاوي ، المصدر السابق,ص119، 120.

[2] السهيل ، المصدر السابق، ص14.

[3] محمد سهيل طقوش ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، لبنان، دار النفائس 2013, ص26.

[4] الدهان، علاوي المصدر نفسه ,ص120.

[5] تيسير جبارة ، تاريخ الدولة العثمانية ،(1280-1924م) ، الطبعة الاولى ، فلسطين ، عماد البحث العلمي ، 2015 ،ص104.

من مقاتليه على اعتناقها، ولهذا تمهل وقام بمراسلات مع الشاه إسماعيل، آملا في إقناعه بالتخلي على المذهب الشيعي، وإنهاء مساعيه في نشره .

لكن العلاقة بين الدولة العثمانية والصفوية بدأت تسير الى الأسوأ بعد القضاء على الآق قوينلو ، بفعل تنافسهما على اقتسام ممتلكاتهم التي تقع على حدودهما المشتركة، فكان طبيعيا أن يتصاعد الخلاف السياسي والحقد المذهبي[1].

وطيلة فترة السلطان بايزيد الثاني استمر هذا التنافس بفعل الاضطرابات في الدولة العثمانية الناتجة عن ثورات الشيعة والتنافس الأسري على العرش، ويبدو ذلك خلال الرسائل المتبادلة بين العاهلين. وحين استولى الشاه على العراق وضمه إلى أملاك الصفويين، أرسل إليه السلطان العثماني رسولا هو محمد جاوش بالابان يحمل رسالة غير متوقعة تهنئة بفتح فارس والعراقوالكثير الهدايا الكثيرة ، ويبدو أنه كان يهدف إلى تدعيم العلاقة الحسنة مع الشاه من غير ان يفهم مدى ما الخطر الذي يشكله الشاه على دولته، وحين تمادى الشاه في إلحاق الأذى بالمسلمين السنة، وهروبهم إلى الأراضي العثمانية، كتب إليه يطلب منه ان يتعقل في معاملة أهل السنة الأحياء منهم والأموات وأن يقتدي بأسلافه العظام وبتاريخ إيران وحضارتها العريقة. رد فعل الشاه كان إيجابي، وحين هاجم مرعش والبستان في حربه ضد علاء الدولة وذي القدر، واضطر الى عبور الحدود العثمانية عند قيصرية أمر جنوده بان لا يتعرضوا الى ارواح وأموال الرعايا، وأن يعاملوهم معاملة حسنة، كما و اعتذر للسلطان عن اختراق الأراضي العثمانية، واخبره بأنه لا يفكر مطلقا في تعكير صفو العلاقة بينهما. وتمثل رضى السلطان العثماني على تصرف الشاه عن طريق الألقاب الفخمة التي أطلقها عليه برسالته التي رد بها عليه و بعث بها إليه مثل ((المليك الأعظم)) و((المتوج الأكرم)) و((ملك ممالك العجم))[2].

تصدع العلاقات الصفوية العثمانية

في الوقت الذي كان العاهلان فيه يتبادلان الرسائل الودية، كان الامير سليم بن بايزيد الثاني يقاتل اتباع الصفويين في الأراضي العثمانية، ويتبعهم خارج حدودها،

---

[1] حياة عابد و الزهرة توايت ، الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني (886-918هـ/1481-1512م)(رسالة ماجستير)،كلية العلوم الاجتماعية والانسانية –شعبة التاريخ جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، 2017/2016، ص72.

[2] محمد سهيل طقوش ، تاريخ الدولة الصفوية (في ايران) 907-1148هـ/1501-1736م، الطبعة الاولى، القدس، دار النفائس، 2009 , ص 69، 70.

وقد وصل في احدى حملاته حتى ارزنجان واسر شقيق الشاه إسماعيل ابراهيم ، فارسل الشاه رسالة احتجاج الى السلطان العثماني ويذكره بالصداقة الصفوية-العثمانية، الا ان السلطان بايزيد الثاني لم يحسن استقبال السفير الصفوي[1]، وقد رد الشاه اسماعيل الصاع صاعين عند قدوم السفير العثماني الذي يحمل اليه الرد العثماني على رسالته فأهانه بشكل كبير، وهنا تبدلت العلاقات الودية بين بين الدولتين [2].

اسباب الخلاف الصفوي العثماني

لاشك ان هناك مجموعة من الأسباب ادت الى توتر العلاقة السياسية بين العثمانيين والصفويين، وفي النهاية دفعتهما إلى الصدام المسلح، ومن هذه الأسباب:

1- كان الصفويين والعثمانيين على طرفين متناقضين ، حيث كان العثمانيين منذ ان دخلوا الاسلام يعدون انفسهم الحماة التقليديين للمذهب السني ، في حين اعتنق الصفويين المذهب الشيعي[3]، وبعد ان استولى الشاه اسماعيل[4] على العراق عمل على صبغه بصبغة الشيعة ، ولو بحرارة السيف ، نتيجة ذلك أراق دماء العلماء السنة ، كما و سعى الشاه نشر مذهب الشيعة في الاناضول . الامر الذي اثار السلطان العثماني[5].

2- محاولات الشاه إسماعيل المتتالية في إثارة شيعة الأناضول ونشر المذهب الشيعي في اراضي الدولة العثمانية، وتزامن هذا الامر مع وصول حاكم قوي هو السلطان سليم الذي لم يكن سمحا كوالده حتى يكتفي بمعاتبة الشاه

---

[1] محمد سهيل طقوش تاريخ العراق الحديث والمعاصر، الطبعى الاولى ، لبنان بيروت ، دار النفائس للطباعة والتوزيع 2015 ، ص 25.

[2] احمد الخولي تاريخ الصفويين وحضارتهم 75.

[3] ابو وردة ، الصراع العثماني الصفوي ونتائجه السياسية والعسكرية ، ص 263.

[4] بعد ان جلس الشاه اسماعيل على عرش تبريز عام 1501 ، واعلن اقرار المذهب الشيعي الامامي مذهبا رسميا بجميع ايران , وعندما اخبروه ان اغلب سكان ايران من السنة على المذهب الشافعي ف:((انني لا اخاف من احد ...فان نطق الرعية بحرف واحد فسوف امتشق الحسام ولن اترك احد على قيد الحياة)) وقد اثار هذا الاعلان حفيظة العثمانيين ،للمزيد من المعلومات ينظر ،(رجاء حسين حسيني الخطاب ، دوافع الصراع العثماني الفارسي على العراق في العهد الصفوي ، كلية الآداب /جامعة بغداد، العدد ع53 ،2001، ص 325).

[5] عبد العزيز سليمان نوار تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، القاهرة ، دار الكتب العربية للطباعة والنشر ،1968 ، ص6.

فقط على اعماله هذه، وانما كان يرغب في القضاء على دولة الشيعة الفتية في إيران لدعمها المتواصل لشيعة بلاده.

3- قيام الشاه إسماعيل باحتضان الأمراء الثائرين على السلطان العثماني، وإعلان استعداده لإرسال الجيش لمساعدة الأمير أحمد بن بايزيد كي يصل إلى حكم البلاد، اضافة الى استقباله الأمير مراد بن احمد بن بايزيد بعد هروبه من عمه. السلطان سليم، وإكرامه بسخاء.

4- تامين الجبهة الشرقية من الأناضول التي صارت مسرحا خصبا للدعاية للصفوية، اذ راى السلطان سليم ان حدوده مع ايران تحتاج إلى تامين للحد من انتشار المذهب في تلك المناطق والمحافظة على امان دولته من الاختراق[1].

5- عدم ارتياح المماليك وحكام الدولة العثمانية معا من التقارب المشبوه الذي قام به الشام إسماعيل الصفوي مع ملوك الإفرنج ومشاريعه الرامية إلى اقتسام دولة المماليك بينهما ومن الطبيعي أن تكون دولة المماليك التي شاخت ذلك الوقت غير قادرة على التصدي لتلك المشاريع. الا ان الدولة العثمانية مازالت دولة فتية شابة قادرة على التحدي[2].

6- ومن الاسباب التي ساعدت على حدوث الصدام بين الطرفين ان اسماعيل لم يرسل رسولا ليهنئ السلطان سليم بالجلوس خلفا لابيه على العرش[3]، اذ قام ملوك المجر ومصر وروسيا ، بارسال السفراء الى سليم ليهنئوه بتولي زمام الامور بعد ابيه ، بينما لم يرسل اسماعيل سفير منه ، لانه كان يعتبر السلطان غاصبا للسلطنة ، وهو كان يساند اخيه احمد بعده الخليفة الشرعي للسلطان بايزيد[4]

---

[1] السهيل المصدر السابق ، ص 26.

[2] عبد الفتاح حسن ابو علية ، الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير، السعودية ، الرياض ،دار المريخ للنشر 2008،ص 141.

[3] السهيل، المصدر نفسه، ص 27.

[4] الخولي ، المصدر السابق ،ص78.

وبناء على ذلك كان لابد من ان يقع الاشتباك المسلح بين دولة العثمانيين بزعامة سليم الاول ودولة الصفويين بزعامة اسماعيل الصفوي، وكان ذلك في معركة جالديران عام 1514.[1]

معركة جالديران وهزيمة الصفويين

استعد السلطان سليم من اجل مقابلة قوات الشاه في ديارهم في سنة 1514[2]، اذ توجه السلطان من أدرنة على رأس جيش ضخم باتجاه الصفويين، بعد ان أحصى الشيعة الذين يقيمون في شرقي الدولة كونهم سيكونون نصرة للصفويين، وأمر بقتلهم جميعا، ثم تقدم نحو عاصمة الصفويين تبريز الذين وأرادوا الصفويين خداع السلطان بالتراجع المخطط حتى إذا ينهك الجيش العثماني سوف ينقضون عليه، وبقي السلطان في تقدمه الى ان التقى بالجيش الصفوي في جالديران جنوب مدينة نارص في شرقي الأناضول وكانت معركة عنيفة بين الطرفين في الثاني من تموز عام 1514 انتصر فيها العثمانيون، وهرب الشاه اسماعيل من الميدان الشاه ، وبعد عشرة أيام دخل السلطان تبريز، واستولى على الخزائن، وقام بنقلها إلى إستانبول، وتتبع الشاه، ولكن لم يتمكن من القبض عليه[3].

كان لانتصار العثماني في جالديران نتائج مهمة، فرغم أنه لم ينهي الدولة الصفوية لكنه أصابها بضربة قاسية جعلها تقبع في إيران، وفيما يخص العراق فإن العثمانيين قد سيطروا على أجزائه الشمالية، ومنها الجزيرة والموصل وسنجار وتلعفر والعادية وأربيل و كركوك، وهيت وحديثة وعانة. وقد زعزع انتصار العثمانيين النفوذ الإيراني في المنطقة، وهز كيان مواليهم ، ومهد السبيل لطردهم من بقية أجزاء العراق[4].

استمار الصراع العثماني الصفوي

في عام 1529 حدثت انتفاضة في العراق الأوسط ضد الصفويين يقودها ذي الفقار بك، رئيس قبيلة الموصلو الكردية . الذي استغل وفاة الشاه إسماعيل الأول

---

[1] ابو علية، المصدر السابق،ص 142.

[2] الدهان، علاوي ، المصدر السابق، ص 120.

[3] محمود شاكر ، التاريخ الاسلامي -8- العهد العثماني ، الطبعة الرابعة ، المكتب الاسلامي ، بيروت، دمشق، عمان، 2000، ص99-100.

[4] الدهان ،علاوي ، المصدر السابق ،ص 121.

وصغر سن طهماسب الأول، فزحف نحو بغداد وقتل حاكمها إبراهيم سلطان بعده طرد الصفويين، ودخل المدينة وسط ترحيب السكان، وأقام سلطته على العراق الأوسط بالكامل ، ثم أعلن قطع جميع العلاقات مع الصفويين، وأرسل مفتاح بغداد إلى السلطان سليمان القانوني، ودعا له في المنابر وسك اسمه على العملة العراقية . نتيجة لهذا الوضع قرر الشاه طهماسب الأول استعادة السيطرة الصفوية على العراق، الامر الذي يضعه في مواجهة مباشرة مع السلطان العثماني سليمان القانوني، مدركا في الوقت نفسه بأنه لا يمكنه خوض هذه المواجهة بمفرده، لذا توجه إلى أوروبا وخاصة الامبراطورية الرومانية المقدسة والمجر، فارسل رسائل إلى ملكيهما شارل الخامس و فرديناند، يدعوهما للتحالف معه، وذلك كي يجبر السلطان العثماني على القتال على جبهتين الامر الذي يعطيه فرصة أفضل للانتصار. وكان من الممكن ان ينجح هذا التحالف بين الطرفين لكن التنسيق بينهما بشأن القتال يبقى أمرا متعذرة بسبب المسافة البعيدة الفاصلة بين إيران وأوروبا فضلان عن وجود الحاجز العثماني .وعدم وجود سفارات منتظمة ما بين الطرفين. عدم إدراك الطرفين لقدرات الطرف الآخر العسكرية .و انهماك الامبراطورية الرومانية بحروبها مع فرنسا، وانشغال شارل الخامس بالمشكلاته التي مع البروتستانت .

استغل طهماسب الأول انهماك سليمان القانوني بحصار فيينا في عام 1529 فجهز قوة عسكرية وهاجت تبريز ودخلتها، فهرب حاكمها آلامة تكلو نحو إستانبول، ثم توجهت هذه القوة نحو العراق. ولم يستطع ذي الفقار بك من الاحتفاظ بالسلطة حتى وصول الجيش العثماني، فدخلت البلاد، وسيطرت على بغداد بعد مقتل ذي الفقار بك على يد اخوته الذين خانوه عام 1530 وقد وضع طهماسب الأول والي جديدة على بغداد هو محمد خان تكلو الذي أعاد بناء سلطة الصفويين هناك. وقد توجه السلطان سليمان القانوني نحو بغداد بعد انتصاره على الصفويين، وقد صرح بأن المدينة من املاكه بفعل أن حاكمها ذي الفقار ارسل له مفاتيحها، وأن احتلالها من قبل الشاه طهماسب الأول هو تحدي له.

بعد الدخول استقبل السكان الجيش العثماني بترحيب وسرور، وحدثت في بغداد انتفاضة ضد الحكم الصفوي بزعامة رجال الدين . وقد هرب الحاكم الصفوي محمد تكلو، الى إيران في تشرين الثاني 1534، ثم دخلها السلطان ظافر. وأخذت المدن

العراقية باعلان انضمامها لسلطة الباب العالي، وهكذا دخل العراق الجنوبي في طاعة السلطان[1]

وعندما دخل سليمان القانوني بغداد عام 1534م كانت البصرة يحكمها أمير عربي يسمى راشد بن مغامس من عشيرة المنتفك ، وارسل راشد أبنه مانع مع وزيره محمد لتقديم الولاء للسلطان العثماني.[2]

الصراع العثماني الصفوي في عهد عباس الكبير

ادى وصول الشاه عباس الكبير إلى سدة الحكم في الدولة الصفوية عام1588 وبلوغ الدولة الصفوية قمة عظمتها في زمنه، إلى عودة الصراع الصفوي العثماني إلى واجهة الأحداث.[3]

لكن عندما تولى الشاه عباس (1588-1629) الحكم شاهد نفسه في مواجهة عدوين شرسين تمثلا بالاوزبك في الشرق والدولة العثمانية في الغرب[4] ، وقد كان مايشغل الشاه هو وضع حد لهجمات الاوزبك في الشمال الشرقي لايران وعقد اتفاقية استانبول الاولى (فرهاد باشا) في 21 اذار 1590 مع العثمانيين، وبموجبها منح العثمانيون عدة مدن هي تبريزو قارص ونخجوان شماخي ، تفليس ،نهاوند وقسم من لورستان كما ومنع شتم الخلفاء الاشدين الثلاثة الاوائل وعائشة على المنبر وارسل حيدر ميرزا ابنه رهينة للعثمانيين في استانبول [5].

وبعد توقيع هذه المعاهدة احتل الهدوء منطقة الحدود الجديدة بين الدولتين والتي نصت عليها تلك المعاهدة، وبذلك انتهت فترة من الحروب والمناوشات استمرت 12عام. وقد كان الشاه عباس حريصا كل الحرص على أن يستمر هذا الهدوء مهما كان الثمن ، وذلك لكي يتفرغ لجبهة خراسان من جهة، ولعدم وجود القدرة لديه في ذلك الوقت على طرد العثمانيين من المناطق التي استولوا عليها، وعند ما ثار خان أخو خان حاكم جيلان على الشاه عباس الكبيرلجأ إلى العثمانيين و أحسنوا استقباله،

---

[1] طقوش ،تاريخ الدولة الصفوية ، ص 96، 97.

[2] محسن عدنان صالح ,امارة افراسياب ودورها السياسي في البصرة (1596-1668م)،., ص 750.

[3] غزوة سعيد عبود الصراع الفارسي-العثماني و انعكاساته السلبية على العراق 1508- 1914 ، كلية التربية للبنات ،جامعة بغداد ، المجلد 27، العدد 1 2016 ,ص11.

[4] الدهان ، علاوي ، المصدر السابق،ص 124.

[5] علي تتر توفيق ،الشاه عباس الصفوي ومجازره بحق الكرد(محمودي،برادوست، موكري، وباني)1605-1629ا،كلية الاداب، جامعة دهوك، المجلد 20، العدد2، 2017، ص 176.

لم يحتج الشاه عباس الكبير على ذلك. ونفس الامر حدث مع (شاه وردي خان) حاكم لرستان الذي ثار ضد الشاه عباس الكبير وهرب لبغداد كي يحتمي بالدولة العثمانية. و استمرت العلاقات الحسنة بين الدولتين وكان الشاه يمثل بأنه يعاضد العثمانيين في حروبهم ضد أوربا ولكنه في الوقت ذاته كانوا يحاولون الاتفاق مع الأوربيين للتعاون فيما بينهم ضد السلطان العثماني. وحين وصلت الأنباء إلى الشاه عباس الكبير بموت السلطان مراد الثالث وتولى مكانه محمد خان الثالث أرسل وفد لتقديم العزاء وتهنئة السلطان الجديد في جلوسه على عرش الحكم

وبعد أن حقق الشاه عباس الكبير انتصارات حاسمة على الأوزبك في خراسان وتأمين الجبهة الشرقية بدأت مرحلة جديدة في العلاقات الصفوية العثمانية، حيث بدأ الشاه عباس يخطط للدخول بمواجهة عسكرية مع العثمانيين[1] . وفي عام 1603هاجم العثمانيون في (تبريز) و استردها منهم، ثم استطاع اخراج العثمانيين من (يريفان) و (شيروان) و(قارص)، وبدأ يتطلع الى بغداد لكي يستحوذ عليها ويضمها إلى حكمه.

كانت قد انعكست على بغداد مظاهر ضعف السلطة العثمانية حين تمكن احد رؤساء الكتائب العسكرية أن ينفرد بحكم بغداد عام 1603 الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه لأي مغامر عسكري لكي يستقل في حكمه عن الدولة العثمانية، وحدث ذلك بالفعل مع احد ضباط الحامية الانكشارية في بغداد المدعو (بكر صوباشي) الذي ارسل إلى الشاه عباس الصفوي كتاب اعلن ولاءه له، مما شجع الشاه الصفوي على التوجه نحو بغداد وشن حملات متعددة من اجل السيطرة عليها. لم تمنع معاهدة (سراو) عام 1618 وقبلها معاهدة (نصوح باشا) التي وقعت بين الدولة الصفوية والعثمانية في تشرين الثاني وتضمنت الاتفاق على أن تعيد الدولة العثمانية كل الأراضي التي حصلت عليها بموجب معاهدة فرهات باشا، واحترام خط الحدود الذي تم الاتفاق عليه بموجب معاهدة اماسية كما و أن تدفع بلاد فارس خراج قدره 200 حمل من الحرير[2].

محاولة اقتحام البصرة

هيأ عباس الكبير من اجل احتلال البصرة حملتان احدهما في عام1625 والأخرى في عام 1629 وقد كانت البصرة في تلك المدة تحت حكم اسرة

[1] الدهان ، علاوي ، المصدر السابق، ص 124.

[2] عبود ، المصدر السابق، ص311.

افراسياب، التي صممت على الدفاع عنها ضد الصفويين مهما كان ثمن ذلك من تضحيات، بالمقابل كان الشاه عباس الصفوي . ساعيا بكل جهده لاحتلال البصرة لاسباب اقتصادية كون البرتغاليين كانوا مسيطرين على تجارتها بالرغم من طردهم من جزيرة (هرمز) عام 1622 بالتعاون مع الانكليز، لذا فان طردهم من هذه الجزيرة لم يجعل التجارة الخارجية بايدي الصفويين لان البرتغال قاموا بتخريب معالمها الحضارية والتجارية ولم يبقى غير قلعتها التي استلمها الفرس واستقروا بها. وبسبب عدم امتلاكه السطوة بحرية في مياه الخليج العربي، توقع الشاه أن ايقاف النشاط التجاري للبرتغاليين لن يتم إلا من خلال فرض حصار بري على الموانئ التي كانوا يتعاملون معها، خاصة البصرة، فارسل الشاه خلعا فاخرة ووعده بابقاءه حاكما وراثيا في البصرة، واعفاءه من دفع الرسوم، وان يترك له حق تصريف أمور المدينة، لكنه لم يلق من افرسياب القبول، بل طرد مبعوثه قبل أن يلتقيه، لانه عرف بأن الأسلوب الذي اتبعه الشاه الصفوي غرضه كسبه إلى جانبه بشكل مؤقت، ومن ثم سوف يعزله عن الحكم، ففاتح افرسياب البرتغاليين الذين كانوا في صراع مع الصفويين نتيجة طردهم من جزيرة هرمز ، فلبوا نداء افرسياب، وقدم الأسطول البرتغالي إلى البصرة، فصارت الكفة ترجح لقوة افراسياب ومعهم البرتغالين

وحدثت منازعات عديدة بين الجانبين، ولم يتمكن الشاه عباس الصفوي من دخول البصرة، فاضطر جيشه ان يترك معسكره تاركا الكثير من التجهيزات والمعدات في 23 آذار عام 1625 ، ومات الشاه بعد اربع سنوات دون أن يحتل البصرة وبقيت الأخيرة عصية على قواته[1].

نادر شاه والصراع على العراق

لقد كان ظهور نادر قلي، الذي سيعرف فيما بعد بنادر شاه، في ايران ايذانا بتحولات عسكرية وسياسية ذات اهمية في المنطقة، وقد عانى العراق منها الكثير. اذ تمكن نادر الذي ينتمي الى قبيلة افشار التركمانية من استغلال الفوضى والتمزق التي سادت ايران اثر الغزو الافغاني والروسي والعثماني، لتوسيع نفوذه بصفته زعيما لقبيلته من ناحية، وحاكما على احدى مدن خراسان، فادعى بأنه يتوسع باسم

[1] المصدر نفسه ،ص311، 312.

سيده طهماسب ميرزا المدعي بالعرش الصفوي، فضم كل من خراسان وبلاد الأفغان، الامر الذي دعا الشاه طهماسب الى أن يجعله قائدا عاما لقواته ومنحه لقب طهماسب قلي خان أي عبد طهماسب، وتمكن نادر خان من هزيمة قوات الافغانيين التي كان يتزعمها اشرف خان في معركة مهماندوست عام 1725، فتخلى على اثرها الافغان عن العاصمة اصفهان وانسحبوا الى شيراز، ليدخلها نادر خان بقواته واعلن عودة الحكم الصفوي الى ايران، من ثم تحرك لملاحقة القوات الافغانية في البلاد حتى عام 1730، وفي شمال شرق شيراز حدث الصدام المتوقع بين قوات الطرفين، فكان النصر لنادر خان، وتقهقر الافغان الى بلادهم الأصلية بعد أن فقدوا معظم قواتهم، وقائدهم اشرف خان نفسه. وبعد هزيمة الأفغان وسقوط اصفهان، وجه نادر خان اهتمامه باتجاه العثمانيين، [1]

في الوقت الذي كان الشاه طهماسب الثاني في انتظار استعادة اصفهان بجهود نادرخان من الافغان ، ارسل في عام 1729 مبعوث الى استانبول يحمل رسالة تتضمن شرح الاحداث الاخيرة في ايران ، وطلب من السلطان احمد الثالث التخلي عن المناطق التي سيطر عليها العثمانيون[2] اثناء الاجتياح الافغاني . وقد كان من الطبيعي ان يرفض السلطان مطلب الشاه وعاد المبعوث الصفوي خائبا

وهذا الرفض قد ازعج نادر خان فقام باستعادة الاراضي بالقوة فاستولى على الاهواز وهمدان ونهاوند وتبريز . وخلال وجوده في تبريز سمع بهجوم الافغان على هراة ، فتوجه مع قواته للتصدي لهم .[3].

وفي عام 1731 جهز أحمد باشا حمله على كرمنشاه بهدف إعادتها إلى الدولة العثمانية. ورغم أن الشاه طهماسب توجه بنفسه لمساعدة المدينة إلا أنه بعد أن أصيب بعدة اندحارات على يد باشا بغداد اسرع إلى عقد الصلح وتنازل للدولة

---

1 ايناس سعدي عبدالله، تاريخ العراق الحديث 1258-1918، الطبعة الاولى، بناية المكتبة البغدادية 2014.ص314.

[2] نتيجة لحدوث الصراعات الداخلية ، اضطر الشاه اشرف الذي استولى على مقاليد الحكم في عام 1754 بعد ان قتل مير محمود ، الى التحالف مع العثمانيين لمقاومة اطماع الشاه طهماسب ، مقابل تنازله عن كل الاراضي التي سيطروا عليها من ايران ، وبعد ان انفرد طهماسب في الحكم وصمم على اعادة على اعادة احياء الدولة الصفوية ، لذا طلب من طلب من الدولة العثمانية ان تعيد الى ايران كل الاراضي التي ستولت عليها،(محمد سهيل طقوش ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، لبنان، دار النفائس 2013 ،ص 272).

[3] طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص 246.

العثمانية عن أرمينيا وقره باغ وجورجيا. وقد أعطى فقدان هذه الأقاليم الى نادر شاه الحجة التي كان يريدها منذ وقت طويل لعزل الشاه طهماسب. وفعلا فقد قام بعزله محتجا بعدم أهليته ونصب بدلا منه على العرش الفارسي ابن الشاه الذي عمره ستة أشهر باسم عباس الثالث وعين نفسه وصية عليه فأخذ بذلك زمام الأمور بيده .

وكان أول عمل قام به رئيس الحكومة الصفوية الجديد هو أنه أرسل إلى الدولة العثمانية، بواسطة أحمد باشا، يهددها بالحرب ان هي لم تتخلى طوعا عن الأقاليم التي تنازل عنها الشاه طهماسب. و أجاب الباب العالي على نادر شاه بإرسال جيش قوي يتكون من قوات الأناضول وقوات مصر بقيادة والي طرابزون طوبال عثمان باشا، لكن نادر كان قد بدا العمليات العسكرية ضد العثمانيين قبل وصول طوبال عثمان فاعاد كرمنشاه في 1733م ثم حاصر بغداد. وقاومت الاخيرة الفرس بصلابة مدة ثلاثة أشهر إلى أن تمكن طوبال عثمان الذي قدم للنجدة من أن يجذب، بحيلة عسكرية، القسم الرئيسي من جيش نادر ويحطمه في معركة عنيفة ودامية. أما الجزء الذي بقي تحت اسوار بغداد فحطمته الحامية العثمانية المحاصرة بحملة قامت بها عليه.[1]

الا ان هذا الإخفاق لم يكسر إصرار نادر شاه الذي توجه نحو بغداد مجددا في شتاء 1733م وقابل في وادي مندلي، طوبال عثمان والحق به هزيمة منكرة . ومات في هذه المعركة القائد العثماني الذي تقادم به العمر. وبعد هذا الانتصار اقترب نادر خان مرة أخرى من بغداد واتصل بأحمد باشا وطلب منه تسليم المدينة طوعا لكن بغداد أطال المفاوضات متعمدا إلى أن حدثت انتفاضة جرت في إقليم فارس فاجبر الوصي على الإسراع بالعودة إلى فارس[2] فاضطر الى عقد معاهدة تفليس مع أحمد باشا في عام 1735على أساس إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل التوسع العثماني في إيران. وقد وجد نادر شاه نفسه قوية ومنتصرا، ثم عاد للاحتفال بإعلان نفسه امبراطور على إيرانية بعد أن عزل الشاه عباس الثالث. رفضت الحكومة العثمانية الطلب ، فقر نادر شاه عندئذ ان يشن الحرب على الدولة العثمانية حتى يصل إلى استانبول، فهاجم الممتلكات العثمانية في الجزيرة الفراتية، وحاصر بغداد، واستولى على كركوك، وتقدم الى الموصل، ول تستطع الدولة العثمانية ايقاف تقدمه رغم أنها جردت عليه ثلاث حملات عسكرية. وتقدم نادر شاه إلى نواحي أرضروم، وطلب

[1] الكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ترجمة هاشم صالح التكريتي ، الطبعة الاولى ، لبنان ، 2009،ص 405.
[2] أداموف، المصدر السابق، ص406،405.

من الدولة العثمانية تسليمه إيالات فان والموصل وبغداد والبصرة، لكن والي بغداد أحمد باشا تمكن أن يقنعه بالتوقف عما اعتزم عليه، ويبدو أن لذلك علاقة بتقدم جيوش عثمانية أخرى لوضع حد لطموحاته، اضافى إلى حدوث اضطرابات داخل امبراطوريته أعاقته عن الاستمرار في القتال، وفي عام 1740وجه إليه السلطان محمود الأول جيش أخر تحت قيادة يكن محمد باشا، و على الرغم من انتصاره في روان فقد اقتنع بوجوب إجراء تعديل على حدود بلاده مع العثمانيين لتعود الى ما كانت عليه في عهد السلطان مراد الرابع وتوقف عن المطالبة بإقرار مذهبه الجديد، وأعلن الاعتراف بالسلطان العثماني خليفة على المسلمين بهذا يكون نادر شاه قد فشل في تحقيق غاياته، وعاد مندحرا وقد تكبد خسائر فادحة، وبعد وفاته عام 1747 دب الانحطاط في الدولة الإيرانية [1]

الصراع الصفوي العثماني في عهد كريم خان

لم يشهد عهد كريم خان نشاطا عسكرية ملحوظ كما في عهد نادر شاه . و إذا ما استثنينا حملاته العسكرية ضد منافسيه اثناء الصراع على السلطة (1750-1759م) وحملاته من اجل إخضاع قبيلة كعب في منطقة الأحواز عام 1757 م و 1765م، فإن العمل العسكري المهم الوحيد تمثل في غزو البصرة سنة 1775م[2].

[1] طقوش ، تاريخ العراق االحديث والمعاصر ،ص42، 43.
[2] الدهان، علاوي المصدر السابق، ص139.

وكحجة لاعلان الحرب، اختلق كريم خان حجة المعاملة السيئة للولاة والحكام العثمانيين وعلى رأسهم عمر باشا والي بغداد للحجاج والزوار الإيرانيين ، فقد كتب عام 1764م رسالة إلى السلطان العثماني مصطفى الثالث طالبه بإعدام عمر باشا لإساءته معاملة الزوار الإيرانيين. لكن السلطان لم يرد على الرسالة فقرر كريم خان تحشيد الجيوش للاستيلاء على البصرة، وقبل ان تصل القوات الإيرانية الى البصرة توفي السلطان مصطفى الثالث وخلفه أخوه عبد الحميد الأول 1774 – 1788م. الذي امتثل لطلب كريم خان و أمر بقتل عمر باشا و إرسال رأسه إلى شيراز لتفادي الحرب بين الدولتين ، وطلب من كريم خان الزند سحب قواته من مشارف البصرة، وقد عد كريم خان هذا التصرف العثماني دليلا قاطعا على الضعف الشديد في الدولة العثمانية، وقرر الاستيلاء على البصرة فأوكل قياده جيشه لأخيه صادق خان، و أمر بالزحف نحوها وحاصرها بالقوات الإيرانية بعد عبوره شط العرب سنة 1776م، فقد حمل لواء الدفاع عن البصرة مستلمها المدعو سليمان أغا الذي كان على جانب كبير من المقدرة والشجاعة فتفانى البصريون في دفاعهم عن مدينتهم واستنجدوا بكافة القوى التي كانت مستعدة للتعاون معهم فجاءتهم الإمدادات البحرية من مسقط، واستبسل المدافعون حتى نفدت طاقتهم وحتى أتاهم الخبر الاكيد بأن بغداد لن تمد يد المساعدة إليهم في الدفاع عن ميناء العراق

وقد كانت الضربة القاصمة لقوى الدفاع عن المدينة قد حدثت على يد المقيم البريطاني في البصرة اذ حين اشتد حصار الإيرانيين للمدينة آثر المقيم البريطاني هناك أن ينسحب فجأة، و أن يتفق مع الإيرانيين بفتح الطريق أمام القوات الإيرانية المهاجمة فدخلت البصرة عام 1776م بعد حصار طويل أستمر لمدة ثلاثة عشر شهر ذاق الأهلون الشقاء والبؤس بسبب الحصار الطويل، ولم يكن لدى الدولة العثمانية اثناء تلك المرحلة إمكانية من اجل مساعدة واليها على العراق لإنقاذ البصرة من الايرانيين المهاجمين بسبب كون الدولة العثمانية كانت مشغولة بحرب شرسة مع جيوش قيصرة روسيا الطموحة (كاترينا الثالثة)، اضافة الى انتشار الأمراض والاضطرابات العشائرية وسوء الحالة الأمنية، وأمام هذه الاوضاع الوخيمة كان طبيعيا أن تنهار المقاومة كما و أرسل كريم خان قوات إيرانية أخرى يقدر عددها بعشرين ألف قد عبرت حدود العراق الشمالية وأحتلت عدد من المواقع المهمة، و أخذت تتقدم نحو محور كركوك أربيل وكان الهدف من هذه الخطة العسكرية دفع العراق لأن يقاتل على عدة جبهات مما يسهل عملية القوات المتقدمة باحتلال البصرة الهدف المحدد من شن الهجوم على العراقي لذا ما أن بدأت

القوات الإيرانية بمحاصرة البصرة حتى أصدرت القيادة الإيرانية الاوامر لقواتها في جهة العراق الشمالية ان تنسحب إلى داخل الحدود العراقية

بعد أن صمدت البصرة أكثر من عام كامل دخلت القوات الإيرانية اليها وقد كانت مؤلفة من ستة آلاف مقاتل وبعد خمسة أيام دخل صادق خان بصحبه قوات كبيرة أحدثت الفوضى وهي تبحث عن مساكن تنزل بها، هذا ما أرغم العديد من السكان على إخلاء بيوتهم ومغادرتها. ولم يحترم الإيرانيون التعهد بعدم التعرض للسكان أو ممتلكاتهم، فأذوا السكان واستباحوا الحرمات، واعتقلوا المسلم ورجال حكومته اضافة الى وجوه و أعيان البصرة، و أرسلوهم اسرى إلى شيراز [1]

و قد استمر الاحتلال الإيراني للبصرة حوالي ثلاث سنوات الى وفاة كريم خان الزند في شهر آذار عام 1779 وانسحاب صادق خان مع قواته منها بعد حدوث الحرب الاهلية والصراع على السلطة في إيران[2]

قائمة المصادر

1. الكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ترجمة هاشم صالح التكريتي ، الطبعة الاولى ، لبنان ، 2009
2. ايناس سعدي عبدالله، تاريخ العراق الحديث 1258-1918، الطبعة الاولى، بناية المكتبة البغدادية 2014.
3. احمد الخولي تاريخ الصفويين وحضارتهم.

[1] الدهان وعلاوي ، المصدر السابق ، ص140
[2] المصدر نفسه ، 140.

4. تيسير جبارة ، تاريخ الدولة العثمانية ،(1280-1924م) ، الطبعة الاولى ، فلسطين ، عماد البحث العلمي ، 2015.
5. سرمد عكيدي فتحي الدهان و ستار محمد علاوي ، الصراع العثماني الفارسي واثره على العراق دراسة تاريخية (1508– 1779) .
6. عبد الحميد الارقط ، اوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الاول 996-1038هـ/1588-1629م،رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية قسم العلوم الانسانية ، جامعة حماة لخضر-الوادي،2015/2014.
7. عبد الفتاح حسن ابو علية ، الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير، السعودية ، الرياض ،دار المريخ للنشر 2008،
8. عبد العزيز سليمان نوار تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، القاهرة ، دار الكتب العربية للطباعة والنشر ،1968.
9. نايف عيد السهيل ، (العلاقات السياسية فبين العثمانيين والصفويين منذ قيام الدولة الصفوية حتى معركة جالديران (907-920هـ/1502-1513)، مركز البحوث والدراسات التاريخية كلية الاداب – جامعة القاهرة ، 2009 .
10. محمد سهيل طقوش ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، لبنان، دار النفائس 2013.
11. طقوش ، تاريخ الدولة الصفوية (في ايران) 907-1148هـ/1501-1736م، الطبعة الاولى، القدس، دار النفائس، 2009,
12. طقوش تاريخ العراق الحديث والمعاصر، الطبعى الاولى ، لبنان بيروت ، دار النفائس للطباعة والتوزيع.
13. محمد سهيل طقوش ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، لبنان، دار النفائس 2013.

البحوث

1. رجاء حسين حسيني الخطاب ، دوافع الصراع العثماني الفارسي على العراق في العهد الصفوي ، كلية الآداب /جامعة بغداد، العدد ع53 ،2001،

2. علـــي تتـــر توفيـــق ،الشـــاه عبـــاس الصـــفوي ومجـــازره بحـــق الكرد(محمودي،برادوسـت، مـوكري، وبـاني)1605-1629ا،كليـة الاداب، جامعة دهوك، المجلد 20، العدد2، 2017، ص
3. غـزوة سـعيد عبـود الصـراع الفارسـي-العثمـاني و انعكاسـاته السـلبية علـى العـراق 1508- 1914 ، كليـة التربيـة للبنـات ،جامعـة بغـداد ، المجلـد 27، العدد 1 2016.
4. محسـن عـدنان صـالح , امـارة افراسـياب ودورهـا السياسـي فـي البصـرة (1596-1668م).

الرسائل

حياة عابد و الزهرة توايت ، الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني (886-918هـ/1481-1512م)(رسالة ماجستير)،كلية العلوم الاجتماعية والانسانية –شعبة التاريخ جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، 2017/2016